

الاقدار حتمت عليهم ان يقوموا بدور الوسيط في جلب البضائع الهندية والصينية وتصفيتها الى اوربا الى ان قدر لاوربا الاتصال مباشرة بالشرق الاقصى في اواخر القرن الخامس عشر الميلادي ، وهو لعمري دور لعبه العرب لا بجراة وكفاءة فحسب بل بامانة تركت اطيب الاشر وأعمقه في نفوس السكان غير المسلمين لختلف مناطق الهند الساحلية. بهذه الظروف تقرر علينا . كلما وجدنا في اللغات الاوربية كلمة تتعلق بالملاحة (67) او التجارة على ايدي العرب في المحيط الهندي ، ان نواصل البحث عن اصلها الهندي بعد ان نهدي الى شكلها العرب في العربية ، ولعل في مقارنة الطرفين الوريبي والهندي ما يكشف لنا بعض ما غمض على المتأخرین من العرب انفسهم في بعض الاحيان .

فمثلاً كلمة (Almanac) لم يشك احد في أنها انتقلت الى اوربا عن العرب لكن حار الباحثون في الاهتداء الى اصلها فقالوا انه « المناخ » ( المحيط - ن و خ ) او ان العرب الاندلسيين استعاروا كلمة **بـAبـIخـIأـ3ـWـZ** (68) من

(67) لقد صرخ المسعودي : فيما يتعلق بالملاحة ، ان العرب حرصوا على الاخذ بالالفاظ المحلية في مختلف المناطق التي ترددوا عليها ، انظر الى قوله : « انما تعبر بلغة اهل كل بحر وما يستعملونه في خطابهم فيما يتعارفونه بينهم » المروج 332/1 ( ايضاً 343 ) . « انما نخبر عن عبارة كل بحر وما يستعملونه في خطابهم » .

ويلاحظ ايضاً في هذا الصدد ان العرب لم يأخذوا الكلمات الهندية من اللغة السنسكريتية الفصيحة ، ولاهم اعنوا باشكالها الصحيحة في الكتابة ، بل انما أخذوها من افواه التجار وسكان المناطق الساحلية التي كانوا يتربدون عليها ، ولا يخفى ان تلك المناطق كانت ولا تزال تسودها لهجات متعددة بل لغات مستقلة .

Hob.-Job. - « Almanack » (68)

76 - 88 « رهمناج » - 60 ص Ferrand : Instructions Natiques, Tome I (69)

« رهمنجا » .

واللبس مثل الذى نشاهد فى اول هذه الكلمة كثير شائع فيما يتعلق بالكلمات الاعجمية التي فى اولها حروف تقارب الالف واللام . فكلمة « انجر » (Anchor) مثلاً اصلها بالفارسية « لنكر » ( القاموس - نجر ) ، اضاف العرب عليها الالف واللام ( ال لنكر ) ، ثم التبس عليهم الامر فظنوا ان اللام ليس من الحروف الاصيلية (اللنكر) وقالوا « انجر » - وكذلك الرصاص من « اوزير » ( انظر ادى شير ) ، والماس من « Adamas » ( Adams ) Periplus ص 224 وانظر بزرك ص 128 « الادماس » ) بتمامه كلمة غير عربية والالف واللام من بنية الكلمة ، كذا فى شفاء الغليل واللسان ( ماس ) عن ابن الاثير - وسيأتي الاتك من « Ranga »

يلاحظ ايضاً انهم كثروا ما يحذفون الكاف والميم من الاول فى التعریب ، انظر مثلاً الرند = كرندة و « انباتي » نسبة الى كبات و « انجاني » نسبة الى « منتج » واترج / ترنج تعریب « ما تلنغا » - وكذلك الواو يسقط من الاول مثل « النع » من « valgu » وارز من « virizi » Watt ص 707 (70)

وقد ذهب الباحثون الى ان « كله » توازي « Kedah او « Kra » الحالية (75).

ويلاحظ ان اهم ما اشتهرت به سيف الهند جودة الصقل ، وهو عمل لا يتأتى الا بالانك الذى استأثرت القلعة بانتاجه ، أما الحديد اللازم لصناعتها فقد اورد الادرسي بشانه ما يلى :

« ان بلاد سفالا (سفالة الزنج أي شرق افريقيا ) يوجد فى جبالها معدن الحديد الجيد الكثيرة ، واهل الرانج (الزانج ؟) وغيرهم من ساكنى الجزائر الطيفية لهم يدخلون اليهم ويخرجونه من عندهم الى سائر بلاد السندي وجزائره فيبيعونه بالثمن الجيد ، لأن بلاد السندي اكثر تضرفهم وتجارتهم بالحديد ، ومع ذلك وان كان الحديد موجودا فى بلاد الهند ومعادنه بها ففى بلاد سفالا هو اكثر واطيب وارطب ، لكن الهنديين يحسنون صنعته وتركيب اخلاق الادوية التى يسبكون بها الحديد الذين فيعود هنديا منسوبا الى الهند ، وبها ديار الضرب للسيوف وصناعتهم يجيدونها فضلا عن غيرهم من الامم ، وكذلك الحديد السبتي (كذا وفي نسخة اخرى: السندي) والسرنديبي والبينمانى كلها تتفاضل بحسب هواء المكان وجودة الصنعة واحكام السبك والفراب وحسن الصقل والجلاء ، ولا يوجد شيء من الحديد أمشى من الحديد الهندي ، وهذا شيء مشهور لا يقدر احد على انكار فضيلته » (76).

هذا وقد كانت البيامان (البيمنان) مركزا آخر هاما لصناعة السيوف تنسب اليه السيوف البيلمانية ، وكانت تقع على ملتقى حدود السندي والهندي كما يتضح مما ورد في شأنها في فتوح البدان للبلاذري ص 440 و 442 ، أما القول بأنه « يشبه ان يكون (البيمنان) من ارض اليمن » (انظر البدان لياقوت وقاموس « ب ل م ») فلا يقوم على سندي .

وبها قلعة يضرب بها السيف القلعية . وهي الهندية العتيقة لا تكون في سائر الدنيا الا في هذه القلعة .. وليس في جميع الدنيا معدن الرصاص القلعي الا في هذه القلعة » (71).

فالنسبة في «السيوف القلعية» و «الرصاص القلعي» (الفرنسية : Alkalap إلى هذه المعنية بكله) (72) وقد شهد الادرسي ايضا بأنها المعدن الوحيد للرصاص الايض بالنسبة الى العالم اجمع في زمانه ، فإنه يقول :

« وبهذه الجزيرة (كله) معدن الرصاص القلعي . وهو بها كثير صافي الجوهر ، والتجار يغشونه بعد خروجه عنها ، ومنها يتجز (يجهز) به الى جميع الارض » (73).

ثم يظهر أن مثل هذا المعدن نجم في الاندلس ايضا فيما بعد ، فبدأ التجار يتجلبون عن الهند إليها ، حتى إذا مضى زمن خلط الناس بين المعدنين كما في قول ياقوت :

« القلعة فيما زعم مسر بن المهلل بلد في أول بلاد الهند من جهة الصين ، واليه ينسب الرصاص القلعي والسيوف القلعية ، واقليم القلعة من كورة قلبرة بالأندلس ، وانا اظن الرصاص القلعي منسوبا اليها او الى قلعة بالأندلس فإنه من هناك يجلب » (74) ان شهادة مسر بن المهلل والادرسي ليست موضع الشك ، وكل ما أفادنا ياقوت هو ان الرصاص الايض كان في أيامه يجلب من الاندلس بعد ان كان يجلب من القلعة بكله من ذي قبل . ولعل في الاخذ باسم «القصدير» - الذي يرادف الانك الا انه معرب عن اليونانية - ايضا دلالة على التحول المشار اليه من الشرق الى الغرب .

ثم انه يرجع عندي ان المراد ليس « القلعة بكله » بل كلمة « قلعة » هي تعريب « كله » لا غير ، والمعدن المسمى « كله » باللغة المحلية الاما كان واقعا على الساحل الغربي لشبه جزيرة ملايو ،

(71) الفزويني 69 وياقوت « القلعة » و « الصين ».

(72) المغرب للجواليقى ، تحقيق احمد محمد شاكر - ص 276 .

(73) دار الكتب المصرية ، جغرافيا رقم 150 ص 130 .

(74) المشتركة والمفترق 357 .

(75) انظر دائرة المعارف الاسلامية « Kal'i » و « Kalah » .

(76) ص 108 - 109 . قارن ابن الوردي ، القاهرة 1328 هـ، ص 51 .

## الرماح

فاطعة لا يتطرق اليها اي شك ان منبت القنا الذى كان العرب يعتمدون عايها لسد حاجتهم - وما اكثر تلك الحاجة - لم يكن غير الهند كما سنبين ذلك آنفا بعد ان نسوق بعض الالتمات ونتعرض لبعض الملابس التي لا بد منها نظرا الى غموض الموضوع.

أولا : القنا = قصب السكر . لا يخفى ان اطلاق القنا على هذا المعنى انما هو على سبيل التبعية والمجاز . وان كان ذلك مطابقا للمألوف في اللغة السنكريتية وبعض اللغات الهندية الاخرى . وعلى كل حال فالمرجع عند العلماء هو ان موطن قصب السكر الاصلی لا يتجاوز ما بين بنفالا والهند الصينية (79) ، والدليل على ذلك ان جميع منتجات قصب السكر اشتهرت في العالم باسمائها الهندية وهما فيما يلي :

1 - Candy = الفارسية والعربية « قند »  
= سنس « Khanda » و مليالم « Kandi » (79).

2 - العربية « فانيذ » = الفارسية « بانيد » =  
سننس « Phanita » - قارن « Penidium » Med. Lat.  
وقد ذكر ابن حوقل والبشاري الفانيذ من اهم الصادرات من مدن السندي: فنجبور ومولتان وطوران.

3 - Sugar = العربية « سكر » =  
الفارسية « شکر » = البراكية « Sakkara » /  
« سنس » Sarkara .

ومن الطريف في هذا الضدد ان الهند ، وان كانوا اول من قام بانتاج السكر ، سرعان ما بدأوا يستوردونه من الصين ومن مصر ، وذلك لأن الصينيين والعرب ، الذين نقلوا زراعة قصب السكر من الهند الى الصين والى مصر ( ثم الى صقلية والأندلس ) ، لم يلبثوا ان سبقوا الهند في ابتكار وسائل جديدة للتكرير ، ففاق الصينيون في صنع سكر ناصع البياض بشكل قطع صغيرة ، كما ان المصريين اختصوا بصنعه بشكل قطع كبيرة ، ولم تزل الهند تستورد ذينك الصنفين من السكر من

ذلك هي قصة السيف التي لم تزل تحمل نسبتها الى الهند كشعار لجودة الصنعة وحسن الحقل ، ولتنتقل الان الى الحديث عن الرماح التي طويت نسبتها الى الهند على مر الزمان ، الا انه يمكننا اذا امعنا النظر ان نستشفها من وراء كلمات لا تزال تحمل سمات الغرابة والغرابة مع انها كثيراً ما عدت عربية لا شيء الا لعدم الاهتداء الى اصلها .

يتكون الرمح من جزئين : الاول هو النصل او السنان ، والثاني هو القناة . وغنسى عن البيان ان صناعة السنان متجلسة مع صناعة السيف بل هما صناعة واحدة ، وعلى هذا يصبح من الطبيعي ان يعقب الظن بأن العرب ربما استعملوا الأسنة الصنوعة في الهند الا انه لا يعدمنا من الدليل الإيجابي ما يترفع بهذا الظن الى درجة اليقين ، فاننا نراهم يستعينون بعض الكلمات الهندية للتعبيرات الدقيقة المتعلقة بهذه الصناعة . انظر الى كلمة « الخرس » تبدو كأنها دخلة على مادة « خرس » العربية . فالخرس تعني الجزء الاعلى الذي فيه الحد من السنان ، وهي بهذا المعنى توافي كلمة « Kirch » بمعناها ( Malayalam ) احدى اللغات الدكтика - ولا زاوية ايضا ، وعل أصلها في لغة جاوة وملايو Kris, Kiris, Kres » (77) - وربما اطلقـت الكلمة على القصيب والرمح نفسه كما قال حميد وابن ثور : « عض الثقاف انحرس الخطيا » (78) ولا يخفى ان هذه النسبة الى الخط هي اقوى ما يُؤيد الاصل الهندي للرماح المنسوبة اليها لأن الخط لم تكن الا مرفقا لأسفن الواردة من الهند كما سنبين ذلك بالتفصيل فيما بعد .

اما الجزء الثاني ، وهو بلا شك اهم الجزئين فقد كان العرب شديدي الاهتمام بالقناة والانتقاء لها حتى ان الشعر العربي يزخر باوصافها ونحوتها الا ان كثرة استعمال العرب للأسماء المختلفة للقناة وما يتبعها وجريها على المستفهم مجرى الكلمات العربية في الاشتقاد وما الى ذلك جعلا اصل تلك الأسماء نسيانا . هذا مع انه قد ثبت بصورة

Hob.-Job. - « Crease, Cris » (77)

اللسان 8 / 287 . (78)

Hob.-Job. - « Candy » (79)

جدا في المصور الوسطي ؛ ومن المتفق عليه أن كلمة انطباشير إنها هي مقتولة عن سنس « Trakkshira » أي أنها هندية الأصل (81) .

ثم أن الخيزران يصفه العرب انفهم بأنه شجر هندي وهو عروق القناة ( انظر اصحاب والتاج « خزر » ) أفلأ يكون القناة إذن شجرا هنديا ؟ والخيزران الهندي (82) هو الذي يتمثل به في

الصين ومن مصر إلى مطلع القرن الماضي حتى إنها يعرفان إلى الآن في أسواق الهند باسم « صيني » و « مصرى » على الترتيب (80) .

ثانيا : القنا بمعنى الرمع . يلاحظ في هذا الصدد أن هناك شيئاً يشبه السكر كثيراً ما يتكون داخل القنا (Bamboo Sugar) يسمى عند العرب والفرس « الطباشير » وكان استعماله كدواء شائعا

Hobson-Jobson - « Sugar » (80)

ومما يشهد ببراعة المصريين في هذا المضمار القطعة التالية منقولة عن ماركو بولو : (Ramusio II, 44)

« And before this city » (a place near Fu-chau) « came under the great Can these people knew not how to make fine sugar ; they only used to boil and skim the juice, which when cold, left a black paste. But after they came under the Great Can some men of Babylonia » (i.e., of Cairo) « who happened to be at the court proceeded to this city and taught the people to refine the sugar with the ashes of certain trees » - 1298 A.D.

ومجلة « اللسان العربي » تلاحظ ما يلى :

كان السكر يصنع في شقي العروبة بأفريقيا : المغرب ومصر وقد حدثنا المقريزي أنه كان يسمى سبعة عشر حبراً لمصر القصب كما كان يعلوي عدة أحجار ( الخطط ج 1 ص 203 ) وكذلك في قابس وجلوساً ( الباركي في المسالك جزء افريقيه والمغرب من 17 و 32 ) .

وقد أكد ماس لاطري Latrie أن المغرب كان يصدر السكر في القرن الثالث عشر الميلادي إلى الفلاند والبنديقة ( علاقت وتجارة افريقيا الشمالية ص 376 ) وقد نبه الحسن بن محمد الوزان المعروف - Léon l'Africain على وجود السكر بسوس قبل السعديين ولكن الشرفاء السعديين هم الذين جلبوا أساليب تصفية هذا السكر وتبييضه في معاصر ساهم الاسرى المسيحيون في تأسيسها باكادير وخاصة ، سكواوة وشيشاوة ( مستندات دوكاستر ج 1 ص 303 ) .

ويوجد نص رسالة موجهة من مولاي محمد بن عبد القالب - المسلوخ - عن إذن والده إلى ملك فرنسا مؤرخة من قصر الدار البيضاء ( فاس الجديد ) في دجنبر 968 ( مارس 1561 م ) حول استعداد المغرب للسماح للملك شارل التاسع باحتكار سكر المغرب بشرط دفع ثمنه بالسعر المغربي مع زيادة نسبة في المائة وكذلك اصدار النحاس المغربي لفرنسا طبقاً لرغبة ملكها بشرط دفع ثمنه سلاحاً وعتاداً ( السلسلة الاولى - السعديون ج 3 ص 746 ) .

ولما عجز الأوروبيون العجلوبون لعصر قصب السكر في معمل أكوال بمراكب وتصفيته وآخرجه من القوة إلى الفعل عن اتمام عملتهم جلب محمد بن عبد الرحمن الصناع المهرة من مصر القاهرة ( الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص 556 ) .

واسن مولاي الحسن عام 1878 مصنعاً للسكر بمراكب وكلفة ذاك نفقات باهظة . ولكن هذا المصنع أحيل بعد سنوات إلى مدبغة للجلود ( كامبو من 59 ) .

وقد كان البلاطون الفرنسي والإنجليزي يتنافسان في القرون الأخيرة على اقتناء السكر المغربي المكرر لصفائه وجودته .

(المعجم التاريخي للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله ص 38 ) .

Hob-Job. - « Tabasheer » (81)

(82) لقد عرف المغرب أن بلاد الروم كانت تمثاز بمنابت الخيزران كما يقول النابغة الجعدي : « بلادهم بلاد الخيزران » ( انظر اللسان - خزر ) إلا أنه من المحقق أنهم كانوا يجلبونه من الهند ويتمثلون بالهندي منه في شدة اللين . كلما في محيط المحيط - خزر . وقد أورد الفزويني في الآثار ص 38 عن كله : « بها منابت الخيزران منها يحمل إلى سائر البلاد » .

(x) وقد كان أهل Magan أي عمان يستوردون الأخشاب من نفس هذه المنطقة وذلك أربعة آلاف سنة قبل المسيح - انظر : Wilson : The Persian Gulf, p. 27

وهكذا ما ي قوله ابن سيده ( المخصص 34/6 ) عن « الرماح الخطية » أشهر الرماح عند العرب : ( الخط مرفأ الفن بالبحرين ) (\*) ينسب إليها الرماح وليس الخط بمنتهي لها ولكنها مرفأ السفن التي تحمل القنا من الهند كما قالوا مركب دارين (\*\*) وليس هناك مركب ولكنها مرفأ السفن التي تحمل المركب من الهند .

ترى كيف ان القناة المجلوبة من منابتها بالهند والتي ركب عليها خرس او سنان مصنوع في مصانع السيف حول معادن الرصاص الطلق بالهند ، كيف ان هذه القناة هي التي تصبح « رمحا خطيا » بمجرد دخولها حدود جزيرة العرب ؟

### السميري :

والحديث عن « الخطى » يذكرنا على الفور بـ « السميري » و « الرديني » . لو رجع أحد الى اللغويين وأصحاب المعاجم لوجدهم يقولون ان السميري نسبة الى سمهر والرديني نسبة الى ردينة وهم زوجان كانوا يقومان ببيع الرماح بالخط ، ولكن المتبع للشعر العربي والمتأمل في اقوال اللغويين وأصحاب المعاجم انفسهم لا يلبي أن يتبيّن ان السميري يفارق الرديني تماماً من حيث الصفات التسوية الى كل منهما ، فالسميري يتميز بصفتين هما : - 1 - الاعتدال ، - 2 - الصلابة ، اما الرديني فيتميز بضد الصلابة وهو اللدونة لانه هو الذي يهتز دون السميري . وعلى هذا نبا له من تحديد الاختصاص بحيث يمارس الزوج والزوجة بيع رماح من نوعين مختلفين - ولعل المفروض انهما كانا يتخذان محليهما جنباً الى جنب في سوق الخط - بدون ان يطغى الواحد منها على الآخر ! وبما لها من مراعاة للمناسبات والصلاحيات بحيث يكون بيع الرماح الصلبة من حصة الزوج ويبيع الرماح اللدونة من نصيب الزوجة !!! وما يزيد اقوالهم ارباكاً كما يزيدنا ارتياحاً ان احداً منهم على الاقل - وهو الزبير بن بكار - ذهب الى ان سمهر كانت فريدة بالخشبة ( انظر الناح حيث جاء ان الصاغاني انكر هذا القول ، كما ان بعضهم قال ان سمهر اسم امرأة كانت تقوم الرماح !!!

شدة اللين ومنه قولهما : الخيزرى والخوزرى والخيزلى = مشية فيها تفكك .

وربما افترن اسم القنا بالقسط ما عدا الخيزران عند الربابنة والجغرافيين العرب كما سترى ، ومن المسلم به ان القسط او الكسط هندي بحت ( سنن Kustha ) (\*\*) وإنما نسبوه في بعض الاحيان الى ظفار باليمن لانه كان يجلب اليه من الهند ، القاموس « ظفر » ( ) .

ولنبحث الآن عن الموضع التي كان العرب يترددون عليها لجلب القنا منها ، نجد انها لا تتجاوز ساحل السندي والساحل الغربي والجنوبي لمنطقة الدكن بالهند (\*\*) : فهذا قول ابن خرداذبه 62 : « ومن السندي يجيء القسط والقنا والخيزران » ويقول ايضاً : « ومن مهران الى اوتكن وهي اول ارض الهند مسيرة اربعة ايام ، وفي هذه الارض يثبت القنا في جبالها والزرع في اوديتها واهله عتادة مردة لصوص » - كذلك يقول ابن الفقيه 251 : « خص الله بلاد السندي والهند ب ... القنا والخيزران ... » - وهذه شهادة مسعود بن مهاهل يقول : « وخرجت الى سواحل البحر الهندي متيسراً فسرت الى بلد يعرف بمدورقين منابت غياض القنا وشجر السندي ومنه يحمل الطباشير وذلك ان القنا اذا جف وهبت عليه الريح احتجك بعضه ببعض واشتدت في الحرارة الحركة فانتدحت منه نار فربما احرقت منه مسافة خمسين فرسخاً او اكثر من ذلك ، فالطباشير الذي يحمل الى سائر الدنيا من ذلك القنا . فاما الطباشير الجيد الذي يساوي مثقاله مائة مثقال او اكثر فهو شيء يخرج من جوف القنا اذا هزت وهو عزيز جداً ... » ثم يقول عن مدينة كولم ايضاً : « والخيزران والقنا بها كثير جداً » ( انظر ياقوت « الصين » ) . كذلك يقول الادريسي : « ومدينة تانة ( بالقرب من بومباي ) جليلة ... وبجبالها وأرضها يثبت القنا والطباشير يتخذ فيها من اصول القنا ومنها يحمل الى سائر البلاد من المشارق والمغارب » - ص 297 . ويمد ان تفقدنا منابت القنا بوجب علينا ان نقتفي آثار نواخذة العرب لنرى اين تفرغ سفنهم حمولتها

(\*) ذكر Pliny اسم موضع Chateni يقع على سواحل الخليج هو الخط ولا شك ، ( الدكتور جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام 309/2 ) .

(\*\*) Daden/Dirin = البحرين او جزيرة بالقرب منها - (Heeren, II, 230)

كبير عناء بعد ان حطمنا الاغلال التي كانت تقيـد فكرنا . كفانا ان ننظر الى كلمة « Rattan » بالانجليزية هي اسم لنوع معين من الخيزران غابة فى المثانة والجودة ومتماز فناته اكتر من اي شيء آخر بالمرونة واللدونة ، انظر « Rattan » - (Hob-Job.) وما لا يشك فيه ان هذه الكلمة بالانجليزية مقتولة عن « Rotan » بالغة ملايو والهند الشرقية . انهـل يستبعد ان تكون ( ردينة ) الحلقة الوسطى بين « Rotan » من جهة و « Rattan » من جهة أخرى ليس الا ؟

### القـنا :

لقد آن لنا ان ندون بعض الملاحظات عن اصل الكلمة « القـنا ». انـارـاتـا انـالـعـربـ ،ـ معـ كـثـرـةـ وـصـفـهـمـ للـرـماـحـ ،ـ لمـ يـذـكـرـواـ ايـ مـنـبـتـ لـلـقـناـ فـيـ دـيـارـهـ .ـ بلـ بـالـعـكـسـ اـجـمـعـتـ الـادـلـةـ كـلـهاـ عـلـىـ اـنـهـ كـانـوـ يـعـتـمـدـونـ عـلـىـ مـنـابـتـ القـناـ بـالـهـنـدـ ،ـ وـلـاـ يـفـوتـنـاـ فـيـ هـذـاـ المـقـامـ اـنـ نـذـكـرـ مـاـ اوـرـدـهـ الـجـاحـظـ (ـ الـبـيـانـ وـالـتـبـيـينـ )ـ تـحـقـيقـ عـبـدـ السـلـامـ هـارـونـ (ـ 16/3 )ـ مـنـ اـنـ الشـعـوبـيـةـ طـعـنـواـ فـيـ الـعـربـ بـقـولـهـ :ـ «ـ اـنـمـاـ كـانـ رـمـاـحـمـ مـنـ مـرـانـ وـاسـتـكـمـ مـنـ قـرـونـ الـبـقـرـ ...ـ »ـ لـعـلـ مـغـزـىـ هـذـاـ الـمـطـعـنـ لـاـ يـعـدـوـ اـنـ الـعـربـ لـمـ يـجـدـوـ فـيـ دـيـارـهـ ماـ يـمـكـنـهـ مـنـ صـنـعـ الـرـماـحـ بـجـزـئـهـاـ الـقـناـةـ وـالـسـتـانـ -ـ وـاخـيرـاـ يـجـبـ عـلـيـنـاـ اـنـ لـاـ نـفـقـلـ اـعـتـبـارـ الـاحـوالـ الطـبـيعـيـةـ الـلـازـمـةـ لـنـوـ القـناـ وـهـيـ تـنـحـصـرـ فـيـ سـفـوحـ جـبـالـ تـهـطلـ عـلـيـهـاـ السـمـاءـ مـدـارـاـ ثـلـاثـةـ اوـ اـرـبـعـةـ اـشـهـرـ مـتـتـالـيـةـ فـيـ السـنـةـ .ـ اـفـيـوـجـدـ مـثـلـ هـذـهـ الـاحـوالـ فـيـ جـزـيرـةـ الـعـربـ اوـ شـرـقـيـهاـ وـغـرـبـيـهاـ الاـ فـيـ السـنـدـ وـالـدـكـنـ ايـ السـاحـلـ الـفـريـيـ وـالـجـنـوـيـ لـلـهـنـدـ ؟ـ وـيـخـيلـ اـلـيـ انـ قـولـ الزـبـيرـ بـكـارـ السـالـفـ الذـكـرـ (ـ بـانـ سـمـهـرـ كـانـتـ قـرـبةـ بـالـجـبـشـةـ )ـ يـخـفـيـ وـرـاءـ حـقـيـقـةـ ثـابـتـةـ وـهـيـ اـنـ الـعـربـ فـيـ وقتـ مـنـ الـاـوقـاتـ اـخـذـوـاـ مـنـ الـجـبـشـةـ بـدـيـلاـ مـنـ الـهـنـدـ ،ـ مـرـجـمـهـ المـضـلـ ،ـ

انـ المـهـمـ فـيـ هـذـاـ كـلـهـ هـوـ اـنـ الزـوجـينـ ،ـ عـلـىـ حدـ تـعـبـيرـ الـلـغـويـيـنـ ،ـ كـانـاـ بـيـبعـانـ الرـماـحـ بـالـخـطـ وـالـخـطـ ،ـ كـماـ رـأـيـاـ آـنـفـاـ ،ـ لـمـ تـكـنـ اـلـاـ مـرـفـاـ لـلـسـفـنـ الـوارـدـةـ مـنـ الـهـنـدـ ،ـ اـذـنـ فـمـنـ الـمـؤـكـدـ اـنـ السـمـهـرـيـاتـ وـالـرـدـيـنـيـسـاتـ كـانـتـ رـمـاـحـاـ هـنـديـةـ ،ـ هـذـاـ بـفـضـلـ النـظـرـ عـنـ مـنـ قـامـ بـاعـمـالـ بـيـعـهاـ اوـ تـوزـعـهاـ فـيـ الـخـطـ .ـ اـفـيـسـتـغـرـبـ بـعـدـ هـذـاـ اـنـ يـكـونـ التـجـارـ الـعـربـ قـدـ اـخـذـوـاـ اـسـمـ الصـنـفـيـنـ مـنـ الرـماـحـ -ـ الـصـلـبـ وـالـلـدـنـ -ـ مـنـ اـفـواـهـ التـجـارـ الـهـنـدـوـيـوـيـنـ ؟ـ اـنـ مـثـلـ هـذـاـ الـقـيـاسـ يـوـافـقـ مـقـضـيـ طـبـيـعـةـ الـعـامـلـاتـ الـتـجـارـيـةـ كـمـ اـنـ يـصادـفـ حـرـصـ الـعـربـ عـلـىـ تـسـمـيـةـ الـاـشـيـاءـ وـالـبـضـائـعـ الـتـجـارـيـةـ بـاسـمـاهـ الـمـحـلـيـةـ .ـ فـرـبـماـ يـكـونـ سـمـهـرـ اـسـمـاـ هـنـديـاـ جـبـهـ الـعـربـ مـعـ مـسـمـاهـ (ـ اـيـ الرـماـحـ الـمـمـتـازـ بـالـاعـتـدـالـ وـالـصـلـابـةـ )ـ اـلـىـ الـخـطـ وـطـبـعـاـ خـفـيـ اـمـرـهـ عـلـىـ النـاسـ لـكـونـهـ غـيرـ عـرـبـيـ ،ـ فـلـذـكـ لمـ يـفـقـهـواـ غـيرـ اـنـ اـنـتـشـرـ بـيـنـ الـعـربـ عـنـ طـرـيقـ ذـكـ المـرـفـاـ بـالـبـحـرـيـنـ (ـ 83 )ـ .ـ

ولـلـقـارـيـءـ الـأـرـيـبـ يـتـبـيـنـ فـيـ قـولـ يـاقـوتـ الـآـتـيـ تـأـيـداـ لـجـمـيعـ مـاـ قـدـمـنـاـ آـنـفـاـ .ـ يـقـولـ يـاقـوتـ :ـ «ـ سـمـهـرـ قـرـاتـ بـخـطـ اـبـيـ الفـضـلـ بـنـ العـبـاسـ بـنـ عـلـىـ الصـوـلـيـ الـمـعـرـوفـ بـابـنـ بـرـدـ الـخـيـارـ ...ـ قـالـ حـدـثـنـيـ سـلـيـمانـ الـمـدـائـيـ قـالـ حـدـثـنـيـ الزـبـيرـ بـنـ بـكـارـ قـالـ الرـماـحـ الـسـمـهـرـيـةـ نـسـبـتـ اـلـىـ قـرـيـةـ يـقـالـ لـهـاـ سـمـهـرـ بـالـجـبـشـةـ ...ـ قـلـتـ اـنـاـ وـحـدـتـنـيـ بـعـضـ مـنـ يـوـقـنـ بـهـ اـنـ هـذـهـ الـقـرـيـةـ فـيـ جـزـرـ مـنـ النـيلـ (ـ الـأـثـارـ الـقـزـوـيـنـيـ صـ 30ـ )ـ جـوـفـ الـنـيلـ )ـ يـأـتـيـ مـنـ اـرـضـ الـهـنـدـ عـلـىـ رـاسـ مـاءـ كـثـيرـ مـنـ القـناـ فـيـ جـمـعـهـ اـهـلـ هـذـهـ الـقـرـيـةـ وـيـسـتوـقـدـونـ زـوـالـهـ وـبـيـعـونـ جـيـدـهـ وـهـوـ مـعـرـوفـ بـأـرـضـ الـجـبـشـةـ مـشـهـورـ -ـ وـقـولـ مـنـ قـالـ اـنـ سـمـهـرـ اـسـمـ اـمـرـأـ كـانـتـ تـقـومـ بـفـعـلـ الرـماـحـ فـانـهـ كـلـفـ مـنـ القـولـ وـتـخـمـينـ (ـ \*ـ )ـ .ـ

### الـرـدـيـنـيـيـ :

لـكـ اـنـتـقـاءـ شـخـصـيـةـ سـمـهـرـ يـسـتـلزمـ اـيـضاـ عـدـ بـقـاءـ رـدـيـنـةـ كـأـرـمـلـةـ تـخـيرـ فـيـ خـطاـبـهـاـ مـنـ يـخـلـفـ فـيـ بـيـعـ الـرـماـحـ الـصـلـبـةـ ،ـ اـلـاـ اـنـ تـلـكـ مـسـأـلـةـ لـاـ تـسـتـدـعـيـ

(83) لمـ اـسـطـعـ الـجـزـمـ بـالـاـصـلـ الـهـنـدـيـ الاـ اـنـهـ لـفـتـ نـظـرـيـ الـكـلـمـانـ الـتـالـيـتـانـ الـعـبـرـتـانـ عـنـ الـاعـتـدـالـ  
والـصـلـبـةـ :ـ SAMA, even, level... straight - Williams : Sanskrit-English Dictionary, p. 1066.

KHARA, hard, harsh, rough... dense - Ibid., p. 74

(\*) هذا وـنـجـدـ مـثـلـاـ آـخـرـ لـهـذـهـ الـاسـطـورـةـ بـالـذـذـاتـ فـيـماـ يـتـعـلـقـ بـكـلـمـةـ «ـ السـنـدـرـةـ »ـ (ـ انـظـرـ صـ 68ـ الـآـتـيـ)  
وـقـدـ اـدـرـكـ الـقـتـيـبـيـ اـنـ القـولـ «ـ السـنـدـرـةـ اـمـرـأـ تـبـيـعـ الـقـمـحـ وـتـوـفـيـ الـكـيلـ »ـ مـجـازـفـةـ لـجاـيـهـاـ  
الـذـينـ وـقـفـواـ حـيـارـيـ اـمـامـ كـلـمـةـ اـعـجمـيـةـ الـفـوـاـ استـعـمـالـهـاـ وـعـرـفـواـ مـدـلـولـهـاـ لـكـنـ لـمـ يـدـرـوـواـ مـاـ اـصـلـهـاـ .ـ

انعت قوسا نعمت ذي انتقاء  
جاء بها جالب بروضاء  
بعد انتقام منه وانتقاء  
كافية الطول على انتهاء  
مجلوزة الاعكب في استواء  
سالمة من آبن السماء

( البيان والتبيين 93/3 - 94 )

وانظر ايضا الى قول آخر للرقاشي في صفة  
القناة التي تبرى منها القسي :

من شنق خضر بروضيات  
صفر اللحاء وخلوقيات  
جدل حتى اضن كالحيات  
دائقا غير مؤنثات  
انفهمن متقطرات  
عمرو بن عصفور (85) على استثناء

( المصدر نفسه 3 / 71 )

لا يخفى ان بروض ا كما وردت الكلمة مضبوطة  
في القطعة الثانية والتي جعلها الشاعر « بروضاء »  
- « بروضاء » بالضاد المعجمة تحريف من الكاتب  
ليس الا - في القطعة الاولى لضرورة الشعر ) كانت  
ميناء هاما على ساحل كجرات فوق بمبای حاول  
العرب عدة مرات ، قبل فتحهم للسندي وابان حكمهم  
لها ، الاستيلاء عليها ( راجع فتوح البلدان للبلاذري )  
وهي لا تزال مدينة معروفة باسمها القديم  
« Bharoch »

والشريح بمعنى المود يشق منه قوسان ( انظر  
قول الشماخ : « شرائح الببع براها القواس » )  
هي « chari » بالجيم علامه المعجمة باخرها .  
ومنه يقال لخطى نيري البرد شريجان .

ولا ننسى كيف ان ياقوت خلط بين كله ( القلعة )  
وبين معدن القصدير بالأندلس لاسباب متشابهة ( \* )  
اذن اهل كلمة « قنا » نفسها معربة من  
الهندية « ganna » لبراكريتية « gandoo »  
السكريتية « gandaka » ( \* )

### الوشيج :

اذا كان « الخطى » هنديا فهل من الغريب ان  
يكون « الوشيج » - الذي لا ينت الخطى الا هو -  
هنديا ايضا ؟ ذن اصل هذه الكلمة هو ( Vansha )  
والجيم في الاخر علامه الجمة لا غير . وقد عهدنا  
بالعرب دائما يظهرون ملكة قوية للاحظة الطبيعية  
بالدققة والاتقان وان كلمة الوشيج وما اشتق العرب  
منها الا دليل على التشر بالطبيعة واستخلاص  
المعنى العامي من مظاهرها فان كل من اتفق له ان  
يتمتع بنظرة الى منبت القنا ليقدر تمام التقدير ان  
اهم ما يروع المرء من اشجاره هو التغاف سيقانها  
وتعانق أغصانها ، ومنه قولهم الوشيج بمعنى  
القرابة ، والوشيج بمعنى الاشتباك . واذا كان احد في  
شك من هذا فليستظر الى كلمة « البيش » ( 84 )  
لا ريب في انها هندية معربة اصلها ( Visha/Bisa )  
استخلص العرب من شجرته معنى الخضراء  
والتضاربة فقالوا « بيش الله وجهه » ولاحظوا ايضا  
ان شجرة البيش شديدة الثبات والتآصل فقالوا  
« أباش الشجرة » .

### القسي

اما فيما يتعلق بالقسي ، فقد كفانا الجاحظ  
مؤنة البحث عن اصلها بقوله : « وكل قوس بندق فانما  
جيء بقناتها من بروض ومدح بيريها وصنعتها عصفور  
القواس . وقال الرقاشي :

(\*) انظر من 34 السابقة .

Nainar, S. Muhammad Husayn : Arab Geographers' Knowledge of Southern India, Madras, ( 84 )  
1942, p. 193, note 29, vide Platts : Hindustani Dictionary.

« البيش وهو نبت لا يوجد الا بالهند » كما في الآثار للقزويني ص 85 .

( 85 ) لو كان سمهر مثقفا للرماح او بيعا لها لكان من الشعراء القدماء  
بإشارة صريحة الى ذلك مثل ما نجد امامنا بخصوص عمرو بن عصفور ، ولكننا بخلاف ذلك  
نراهم ، حسبما اعرف ، دائما يذكرون « السمهرية » و « الردينية » و « رماح ردينية » ( الشماخ ،  
ديوانه ص 98 ) من غير ان يزيدوا شيئا ثم يجيء اللغويون فيفسرون هذه النسبة كما بدا لهم  
بدون اي سند على نحو ما فصلنا الكلام عنه .